ما أسعد النفس اطمأنت بالتقى!

جند الله السرطان ليغزو جسد عبده عيسى زيدان المرزوقي وقد تبين وجوده في أثناء تخرجه من كليه الطب. وكان قد عقد قرانه على فتاة مؤمنة، وأسرَّ لها بالأمر المروّع مُؤمِّلاً قبولها فك ارتباطه بها حرصاً عليها، وانقاذاً لحياتها فرفضت ذلك بموقفٍ إيماني فريد محتسبة ذلك عند الله رب العالمين... ولئن كان الطبُّ قد عجز عن اعطائه الدواء، فقد جعل الله سبحانه وتعالى رحمته قريباً من عباده المحسنين ويسر على لسان نبيه معلم الإنسانية ومنقذها، وهاديها ورحمتها محمد صلوات الله وسلامه عليه كل ما تطمئن إليه النفس المؤمنة فقال: «داووا مرضاكم بالصدقة».

وذلك ما كان.. وجاء من الله البرهان.

وقد تلطفت المسلمون الغراء بنشر تلك القصة الشجية الرائعة بتفصيل وتوثيق في عددها ١٤٠٨/١٢/١٨١ هـ. وقد استوحيت هذه الأبيات المتواضعة التي جاد بها الخاطر من وحي تلك القصة الموثقة، ولا يفوتني أن أقدم اعتذاري سلفاً عن التقصير خجلاً من جلال موقفيهما فالموقف بتفرده وصدقه فوق كل كلام.

لكِ في كلا الداريْن خيرُ مقامِ ... يا من تقاكِ حقيقةُ الاسلامِ

أغرقتِ قلبَك باليقين وبالهدى ... ورضيتِ ما لله من أحكامِ

ما أسعدَ النفس اطمأنت بالتقى ... وأعزَّ ما تلقى من الاكرامِ!

❖❖❖

لله أنتِ كريمةٌ أحسابُها ... شغلت بتقواها عن الأوهامِ!

لا الخوفُ من غدها أضاع صفاءها ... يوماً.. ولا وهنتْ من الآلامِ

صفاك بالإيمان ربك واصطفى ... لكِ مؤمناً.. وأفاضَ بالإنعامِ

سبحان من جمع القلوب على التقى ... وأحلَّهـا منـه المقـامَ السـامي!!

عيسـى.. حبـاك الله أكـرم نعمـةٍ ... بعـدَ التقـى بـزواج بنـتٍ كـرام

ولحكمـة منـه ابتـلاكَ بمـا رأى ... وبمـا يهـدُّ النفـسَ مـن أسـقام

فصـبرتَ محتسـباً بربِّـك راضيـاً ... بيقـينِ أوّابٍ، وقلـبِ هُمـام

وحملت وحدك وطأة البلوى، ولم ... تشـركْ بهـا حتـى أولـي الأرحـام

وبكـلُّ مـا يحـوي فـؤادُك مـن تقـى ... آثـرتَ أن تسـقي، وأنـتَ الظـامي

أثـرتَ إنقـاذَ الحبيبـةِ راجيـاً ... عيْشـاً لهـا يمضـي بكـلِّ سـلام

وبسـطتَ عـذرَك صادقـاً ومؤمّـلاً ... تسـريحَ إحسـانٍ، وفـكَّ زِمـام

يـا للكريمـة أمِّ أنبـلِ موقـفٍ ... تسمو، ويسمو عـن أولـي الأحـلام!

ضـاق البيـانُ بوصفـه، وبيـانِ مـا ... يُمليـه مـن عِـبرٍ ومـن أحكـام

يـا ربَّـةَ الإيمـانِ عفـوكِ إننـي ... لأُجِلُّـه عـن سـحرِ كـلِّ كـلام

لله موقِفُـكِ النبيـلُ علـى المـدى ... لَمّـا هزئـتِ بفتكـةِ الأورام!!

أثـرت أن تبقـيْ شـريكته التـي ... تحيـا امتحـانَ الله في استسـلام

وقبلـتِ بـالأمرِ المـروِّعِ عـن رضـا ... بقضـاءِ ربِّـك دونمـا إحجـام

وعلـى التقـى أتممتمـا العشَّ الـذي ... قـد قـام بـالتقوى أعـزَّ قيـام

عُشّـاً تحُـجُّ لـه المنـى.. وتـودُّ لـو ... زارتـه يومـاً أعـذبُ الأحـلام

لـم تملِكـا فيـه الكثـيَر.. وطالمـا ... ملـكَ الزمـانَ القـانعُ المتسـامي!

مـا دامـت التقـوى أسـاسَ بنائـه ... فهـو الأعـزُّ علـى مـدى الأيـام!

هــذي لعمــرو الله وِقفــةُ حــرةٍ ... جعلِـتْ لهـا الدنيـا مـن الخـدّام

بوركتِ، بـورِكَ طيـبُ منبتـك الـذي ... سـيظل يُطلـعَ ألـف فَـرعٍ نـام

بوركـتِ يـا أختَ اليقـين، وبوركـت ... تقـواك فهـي حقيقـة الإسـلام!

❖❖❖

يـا مـن بـأمر الله قـد رضيـا معـا ... وتبـــادلا الإيثـــارَ في إقـــدام

بوركتمـا إلفيْـن ضمَّهمـا التقـى ... وتفيـــآ روضَ الوفـــاءِ النـــامي

بوركـتَ يـا عيسـى تصـون بنـاءَه ... فلـــه يســـوقُ اللهُ خـــيرَ ختـــام

أكـرمْ بيـومٍ قـد هديـتَ لحكمـةٍ ... فيهـا الشـفاءُ لكـلِّ جُـرحٍ دامِ

نزلـت بقلبـك.. فاسـتطبتَ نزولَهـا ... فهـي السـبيلُ لـريِّ كـلِّ أوامِ

هـي قولـةُ المختـار.. فالزمْهـا تجِـدْ ... كـم تـبرئُ الصدقـاتُ مـن أسـقامِ!

فمضيـتَ تنفـقُ طائعـاً، متصدقـاً ... زلفـى لـربِّ العـرش ذي الإكـرام

مستسـلماً لقضائـه.. متمسـكاً ... برضائـه.. فرضـاه خـيرُ مـرام

متضرِّعـاً طـارت ضراعتُـه بـه ... لرحـــاب ربٍّ دائـــمِ الإنعـــام

عينـاك في فردوسـه قـد عاشـتا ... ونَـدى يمينـكِ كانسـكابِ غمـام

تهبُ الكثيَر، وأنت راضٍ بالذي ... ما كان من دنياك غيَر حطامِ
وفؤادُك السمحُ المؤملُ ربَّه ... قد هام بالإحسان كلَّ هيامِ
كم سُرَّ مرضى قد أتوْك؟! وكم رأوا ... حلو الشفاءِ بثغرك البسَّامِ!!
داويتَ بالإحسانِ أرواحاً.. وكم ... داويتَ بالخبراتِ من أجسامِ!!
تسعى لاسعاد الجميعِ بهمة ... أنستكَ ما في الجسم من إيلامِ
وإذا النفوس استمسكت بعقيدةٍ ... هان الذي تلقاه من آلامِ
بوركتَ يا صِلَةَ السماء بأرضنا ... فتقاك وثَّقها بخيرِ ذمامِ
عينٌ بذاتِ الله عُلِّقَ طرفُها ... وتعلقتْ عينٌ على الأيتامِ
قد كنتَ إلا عن إلهكَ في غنىً ... فإذا برحمته كغيثٍ هامِ
وإذا الشفاءُ وما أحبَّ مجيئه ... يُزجيه طوعاً باريءُ الأنسامِ
نامي عيونَ المؤمنين قريرةً ... فالله تسهرُ عينهُ لتنامي

❖❖❖

يا من بأمر الله قد رضيا معا ... فكلاهما سمحُ السريرةِ سامي
أصبحتُما والله ماضٍ حكمُه ... مثلاً لأهلِ الدّين، والأفهامِ
إن تذكرا قيلَ السَّلامُ عليكما ... في الصّالحين على مدى الأيامِ